" الرؤية المعاصرة لتضايف الفنّ والتصميم للأزياء في تونس من خلال تجربة كلّ من كميليا قصارة والهادي الملولي "

مكية بنت عبودة بن علي بن حامد الشرمي: أستاذة مساعدة بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس (تونس)

رقم الهاتف: 0021692430448

الإيميل:mckia.charmi@gmail.com

الملّخص

يمثّل كلّ من الفنّ والتصميم رؤية معاصرة لتضايفهما بوصفهما مجالين إبداعيين متكاملين يسهمان في تشكيل الثقافة البصرية المعاصرة، فقد شهدت العلاقة بين الفنّ والتصميم تحوّلات ملحوظة في ظلّ التطوّر التكنولوجي وتعدّد الوسائط التعبيرية، ممّا أدّى إلى تداخل حدودهما وتكامل وظائفهما الجمالية والوظيفية، إذ أنّ الفنّ مجالا شاسعا في حدّ ذاته يشمل التصميم الذي يعتبر أحد البوابات الممتعة التي يمكن الولوج إليها من خلال عوالمه المبهرة عبر ما يتمتّع به من إمكانات الحياة، كما يعّد فنّ التصميم واحدا من الفنون التي تميّزت باحتضانها لفنون أخرى كالفنون التشكيلية أو الطبيعة... كما أنّ تصميم الأزياء يعّد من الفنون التي يحتاج فيها المصمّم إلى مؤثّرات خارجية يستلهم منها تصميماته عبر مفهوم التضايف، وذلك سعيا نحو تكاملية العمل التصميمي، فضلا عن تحقيق الجذب والمتعة البصرية، ومدى ما يحقّقه من نزعة فنّية في تصميم الأزياء لاسيما بعض التجارب الأوروبية، والتي نذكر من ضمنها تجربة الفنان " بيت موندريان" التي تميّزت أعماله بعالم هندسي محكم التنظيم مقترنا بنقاء الشكل وروحية صوفية من خلال الخطوط وتقاطعها وتوزيع موسيقي لتلك الألوان

الأساسية الثلاثة، كما نجد الفنان "فاسيليكاندنسكي" الذي يعد من أوائل مؤسسي الحركة التشكيلية التجريدية والذي تعّد أعماله مصدرا ثريا للعديد من التصميمات، وفي هذا المجال وقع اختيارنا على تجربة كلّ من المصمّمة كميليا قصارة والمصمّم الهادي الملولي اللذين لم تقتصر تصميماتهما على ذلك الاستلهام العالمي، بل رجع كلّ منهما إلى ما يختزنه التراث من موروث حضاري.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز أوجه التقاطع بين الفنّ بوصفه تعبيرا جماليا حرّا والتصميم باعتباره ممارسة إبداعية تسعى إلى تحقيق التوازن بين الجمال والوظيفة، كما يناقش الكيفية التي أسهم بها هذا التضايف في إثراء الممارسات مثل التصميم الجرافيكي، والعمارة والفنون الرقمية، وبهذا فإنّ التكامل بين الفنّ والتصميم يمثّل أحد أهمّ ملامح الفكر الإبداعي المعاصر، حيث يستعرض إنتاج تجارب بصرية جديدة تعكس تحوّلات المجتمع وتواكب متطلّبات العصر

لذا برز التساؤل عن مدى تحقّق هذه النزعة الفنّية ليكون نواة البحث الذي تضمّن ثلاثة فصول: تمثّل الفصل الأوّل قي الإطار النظري الذي اشتمل على كلّ من المقدمة ومنهجية البحث وأهمّيتها وتعريف المصطلحات، في حين تمثّل الفصل الثاني: آليات ومتطلّبات تصميم الأزياء والذي بدوره انقسم إلى مبحثين، تمثّل الأوّل بآليات الفنون في تصميم الأزياء، أمّا المبحث الثاني اشتمل على آليات ومتطلّبات أنظمة تصميم الأزياء ومنهجية الاشتغال عليها، أمّا الفصل الثالث فقد تمثّل في النزعة التصميمية للأزياء لكلّ من المصمّمين المتناولتين في هذه الدراسة، لما يتميّز كلّ منهما في اختيار المادة واللون الذين يعتبران كلغة مرئية للتعبير التي تكشف عن قيم وجدانية لا غنى عنها، ويساهمان مساهمة في جذب الانتباه، فلا يمكن تخيّل عالم الأزياء والموضة بدون مادة ولون، لذلك تعتبر من أهمّ عوامل التصميم التي يجب أن يضعها كلّ مصمّم في اعتباره وهو يبحث عن مصدر يستلهم منه أفكاره.

فكيف عبّر كلّ من التجربتين عن نزعته التصميمية في أزياءه؟

الكلمات المفاتيح: الرؤية / المعاصرة/ التضايف/ التصميم

I- منهجية البحث

المقدمة

يشهد العالم المعاصر تحوّلات متسارعة في مختلف مجالات المعرفة والإبداع، الأمر الذي أدّى إلى إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين العديد من الحقول التي شهدت تقاربا وتداخلا ملحوظين، حيث لم يعد بالإمكان النظر إليهما بوصفهما مجالين منفصلين، بل أصبحا يشكلان منظومة إبداعية متكاملة تسهم في تشكيل الثقافة البصرية، وبهذا فقد شهد مجال تصميم الأزياء بعض التحوّلات التي جعلته يتجاوز كونه مجرّد صناعة مرتبطة باللباس والوظيفة، ليصبح مجالا إبداعيا تتقاطع فيه العديد من الحقول الفنّية والمعرفية، والتي من أبرزها مجال الفنّ الذي يعتبر مصدرا أساسيا للإلهام الجمالي، حيث أصبح التصميم في الأزياء يستند إلى رؤى فنّية تعبيرية تسهم في إثراء الشكل واللون والبنية التكوينية للملابس، ممّا يعكس تفاعلا واضحا بين الفنّ والتصميم في إنتاج خطاب بصري معاصر.

إذ لم يعد تصميم الأزياء يقتصر على تلبية الاحتياجات الوظيفية أو الجمالية فحسب، بل أصبح وسيلة للتعبير الثقافي والفنّي تعكس هوية المجتمع وتحوّلاته الفكرية والجمالية، وفي هذا السياق برز مفهوم تضايف الفنّ والتصميم في الأزياء باعتباره عملية تفاعل وتكامل بين الرؤية الفنّية الحرّة ومبادئ التصميم التي تنظّم الشكل وتمنحه بعده الوظيفي والجمالي في آن واحد.

إنّ هذا التداخل بين الفنّ وتصميم الأزياء أتاح للمصمّمين استلهام عناصر متعدّدة من المدارس الفنّية والتجارب التشكيلية مثل التكوين واللون والخط والملمس، وتوظيفها في ابتكار تصاميم تتجاوز النمط التقليدي للأزياء لتصبح أعمالا إبداعية تحمل دلالات

جمالية وثقافية، ومن هذا المنطلق نسعى في هذا المقال إلى دراسة الرؤية المعاصرة لتضايف الفنّ والتصميم في مجال الأزياء والكشف عن مظاهر هذا التفاعل وأثره في تطوير الممارسات التصميمية وتعزيز الثقافة البصرية في المجال الفنّي المعاصر.

وبهذا فإنّ من أهمّ مميّزات المصمّم أن تكون له قدرة الامتلاك لحساسية الاستلهام من مصادر متعدّدة وبأساليب متنوّعة، وذلك لكلّ ما يحيط به من مؤثرات بصرية تدعوه إلى التفكير والتأمّل والتحليل، التي تمثّل بدورها مصدر إلهامه، إذ لا يستطيع تخيّل أيّ شيء ليس له وجود، فكلّ ما ينتجه المصمّم من تصميمات هي في الحقيقة منبعها الأساسي، ما ترسّخ وما انعكس لديه من معلومات قد حاول تخزينها في مخيّلته التي كانت كمورد لخبرات بصرية أو لفكرة مسبقة من البيئة التي تحيط به بكلّ ما تحمله من مؤثرات بصرية واجتماعية وثقافية وتكنولوجية.

إذ أنّ المصمّم ذاته جزء لا يتجزأ من هذه المؤثرات، الذي قد يسعى إلى تصميم أزياءه بأسلوبه الخاص وبنظرته المتميّزة، فهو يحوّر ويغيّر كلّ ما يطرأ عليه من مصادر الهام ليستخلص وينظم عناصره لإعادة صياغة تصميمه من جديد والمعبّر عن وجهة نظره المتفاعلة بينه وبين مختلف مؤثراته الاستلهامية التي تعتبر من ضمن الأسباب التي ساعدته على تبلور أسلوبه التصميمي الذي يعدّ محصلة لثقافته وخبرته.

ومن الأسباب الموضوعية التي استدعتنا إلى دراسة الرؤية المعاصرة لتضايف الفنّ والتصميم للأزياء في تونس من خلال كلتا التجربتين، هو اعتماد كلّ منهما على الابتكار المستمّر والتعبير الإبداعي، حيث استوحى كلّ من كميليا قصارة والهادي الملولي تصميماتهما في كثير من الأحيان من اللوحات الفنّية التي تحوّلت في الأخير من رسوم يمكن مشاهدتها فقط، إلى أزياء يمكن ارتداؤها، عبر ما يقدّمه ويطرحه كلّ منهما من تقريب الرموز والدلالات التي تربط المصمّم بالمجتمع وتواصله الشخصي والحضاري.

أمّا الأسباب الذاتية فهي متمثّلة في رغبة كلّ من كميليا قصارة والهادي الملولي في تدعيم تجاربهما التصميمية سواء بالاطلاع على التصميم العالمي أو الاستلهام، إذ يمتلك كلّ مصمّم منهما أفكاره التي تعبّر عن عوالم فلسفته المنعكسة على تصاميمه ويظهر ذلك جليّا في أزياءهما التي قد واكبت المعاصرة من جهة والتشبّث بالهوية التونسية عبر رجوع كلّ منهما إلى تراث بعض الولايات كولاية جربة والمهدية...، ولعلّ ذلك ما لفت انتباه بعض المهتمين والمولعين بضخامة الملابس التي تبقى ولو لجزء بسيط محافظة على الأصالة التونسية وما يميّز ها من موروث حضاري، الذي لعب دورا مهمّا في جعل المصمّم يبتكر ويبدع في تصميم أزياءه.

مشكلة البحث وأهمّيته والحاجة إليه

تنبع مشكلة هذا البحث من تزايد التداخل بين الفنّ وتصميم الأزياء في الممارسات المعاصرة، حيث لم يعد تصميم الأزياء يقتصر على الجانب الوظيفي أو الجمالي المرتبط باللباس، بل أصبح مجالا إبداعيا يستلهم من الفنون التشكيلية ويستثمر عناصرها الجمالية في بناء العمل التصميمي، ورغم هذا التفاعل الواضح بين المجالين، فإنّ دراسة طبيعة هذا التضايف وآلياته الجمالية ما تزال بحاجة إلى مزيد من الاعتناء، خاصّة من خلال نماذج تطبيقية لأعمال مصمّمي الأزياء المعاصرين، ومن هنا تأتي أهميّة هذا البحث في الكشف عن مظاهر التكامل بين الفنّ والتصميم في الأزياء وتحليل الكيفية التي يوظّف بها المصممون المرجعيات الفنّية داخل تصاميمهم لإنتاج أعمال تجمع بين التعبير الجمالي والبعد الوظيفي، كما تبرز الحاجة إلى هذا البحث في إثراء الدراسات المرتبطة بتصميم الأزياء والفنون البصرية والإسهام في تعميق الفهم الأكاديمي للعلاقة التفاعلية بين الفنّ والتصميم في السياق المعاصر.

كما يهدف هذا البحث إلى دراسة الرؤية المعاصرة لتضايف الفنّ والتصميم من خلال تحليل نماذج مختارة من أعمال بعض مصمّمي الأزياء، والكشف عن الكيفية التي

تتجلّى بها العناصر والمفاهيم الفنّية داخل العملية التصميمية، حيث سعينا في هذا البحث إلى إبراز طبيعة العلاقة التكاملية بين الفنّ وتصميم الأزياء، وتوضيح دور الفنون البصرية في إثراء الابتكار الجمالي وتطوير لغة التصميم في الأزياء المعاصرة.

وبهذا تكمن أهميّة هذا البحث في مدى العلاقة المتطوّرة ما بين المجال الفنّي ومجال تصميم الأزياء، ممّا جعل هذا المجال ليس مقتصرا على السيدات فقط، بل هناك الكثير من الرجال ممن حقّقوا نجاحات كثيرة للغاية وشهرة واسعة، وهذا ما سوف نبيّنه من خلال تجارب المصمّمين اللذان سوف نتناولهما، وهذا ما جعل العديد من الطلبة أن يندمجوا في هذا المجال في إحدى الجامعات، والسعي نحو نيل شهادات تطوّر تجاربهم عن طريق دراستهم وثقل موهبتهم وإثراء معرفتهم بالأزياء وعالمها الشهير. ولما لم يكن من ضمن أهداف هذا البحث الوقوف على أهّم المصطلحات، فإنّها لن تخصّص له معالجة مستقلة شاملة، وإنّما ستكتفي بوقفة موجزة.

تحديد المصطلحات

– الرؤية: حسب تعريف لسان العرب لابن منظور: " فإنّ الرؤية تعرف بأنّها الطيف والخيال، لذا لا بدّ أن يكون لدى كلّ فنان رؤيته وتصوّره الخيالي الخاص بمراحل تنفيذ تصميمه الفنّي " (ابن منظور، 1948، ص 1321).

– المعاصرة لغويا: " مفاعلة من العصر وتعني اجتماع شيئين في عصر واحد، ومنه وصف الشخص بأنّه معاصر، أي أدرك أهل هذا العصر واجتمع معهم " (ابن فارس، 2004، ص 604).

أمّا اصطلاحيا: "المعاصرة تعني استيعاب الكنوز التراثية والإضافة إليها من مبتكرات تواكب روح وطبيعة العصر وهي لا تعني تقليد القديم أو محاكاته ولكنّها إضافة إليه من خلاله" (عزام، 1991، ص 45)، فالمعاصرة تعني التواجد أو الحدوث في الوقت الحالي أي مسايرة العصر بكلّ ما هو حديث والمعاصرة تعني عاصر فترة زمنية

وعايش ظروفها كما تعني المعاصرة الاستمرار والتكامل مع قوى البيئة في المكان والزمان.

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسّر مفهوم المعاصرة هو الملائمة مع الأوضاع القائمة في كلّ زمان مع الماضي والحاضر في اتّجاه المستقبل وفي ظلّ كلّ المتغيرات الفنّية، إذ أنّ " الفنّ تعبير عن شخصية الفنان فلا بدّ أن تتميّز أصالة التعبير بطابعها الفردي وكلّ شيء له طابع فردي، وأنّ كلّ عمل فنّي يمكن أن ننسبه إلى طائفة من الأعمال التي أنتجت تحت حقبة معيّنة أو تحت إطار خاص، ولكن هذا التقييم لا ينفي الناحية الفردية" (محمود، 1961، ص 26).

إذ بمختلف هذه المفاهيم نستنتج بأنّ المعاصرة ما هي إلاّ استمرارا ومواصلة لكلّ ما هو متقدّم ومتطوّر، فهي بذلك تتواءم مع مختلف متغيّرات الأزمنة عبر استثمار الموروث التراثي وإعادة تأويله بحسب ما يتطلّبه كلّ عصر ومواكبته لكلّ ما هو متجدّد ومتغاير عن كلّ مألوف، وبهذا فإنّ المعاصرة قد أثّرت على الوعي الفكري للمصمّم وساعدته في ابتكار تصميمه، ممزوجا بفلسفة الحياكة وانسجامها، حيث استطاع المصمّم التعبير بكلّ حرية ليثير فينا الإحساس بالجمال والخيال، متجاوزا حدود المألوف والعمل على إبداع أزياءه برؤية متجدّدة، عبر ما تخيّله من مستجدات سواء على مستوى نوعية القماش أو اللون... من خلال ما اكتشفه وما استلهمه من تراثه وما أحدثه من مزاوجة ما بين مختلف الأقمشة وما ينجّر عنها من تداخلات لونية ساهمت في جعل تصاميمه مواكبة للعصر، وبهذا فقد ارتبطت المعاصرة زمنيا بالمتغيّرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصرنا الحالي.

– التضايف لغويا: " في المنطق تقابل حدين، بحيث يتوقّف تصوّر كلّ منهما على الآخر، مثل الأبوة والنبوة (تعريف الجرجاني) ومثّل تضايف الحركات، فإنّ المتضايفة

منها هي التي يجوز أن يقال بعضها أسرع من بعض، أو أبطأ أو مساو له في السرعة" (ابن فارس، 2004، ص 251).

أمّا اصطلاحيا: فإنّ " التضايف هو الترابط ويطلق على الصلة بين ظاهرتين تتغيّران معا في نظام متناسل الأجزاء، كالتناسب بين الطول والوزن... وقد يطلق الترابط على تغيّر إحدى الظاهرتين بتغيّر الأخرى لوجود علاقة سببية حقيقية بين أجزائهما، أو لتوقّف تغيّراتهما على أسباب خارجية مشتركة، والمتضايفان هما الحدان اللذان بينهما تضايف، فإنّهما بما هما ذاتين ليس يلزم فيهما خاصية التقدّم والتأخر وربّما هما متضايفان..." (جميل، ص 290).

– التصميم لغويا: " اسم، والجمع تصميمات وتصاميم ومصدره صمّم على / صمّم في: وضع تصميما لموضوعه: تخطيطا لعناصره ولأجزائه " (أندريه، 2001، ص 163).

أمّا اصطلاحيا: عرفه ابن منظور بأنّه " تنظيم وتنسيق مجموعة العناصر أو الأجزاء الداخلية في كلّ متماسك للشيء المنتج، أي التناسق الذي يجمع بين الجانب الجمالي والذوقي في وقت واحد " (ابن منظور، 1948، ص 383)، ولكن كلمة تصميم كانت تدل على الاسم، حيث كان الاهتمام بالتصميم مقصورا على الناحية الشكلية، أمّا كلمة التصميم حديثا، فإنّها تدلّ على الفعل، حيث يضمّ التصميم كلّ أوجه النشاط التي تشمل جميع نواحي الحياة الحديثة، وبمجرّد ذكر الزيادة الكبيرة في عدد المشتغلين بالتصميم الصناعي، ندرك إلى أيّ مدى أصبحنا نشعر بأهمّية ذلك المجال الفنّي.

ويعرّف "تصميم الأزياء بأنّه عملية خلق أفكار ومفاهيم مرتبطة بأنماط الملابس، للحصول على تصاميم جديدة سواء كان ذلك بالأشكال، أو الأقمشة، أو الألوان المستخدمة، وتتأثّر هذه الاختيارات بأنماط موسمية فيما يطلق عليه (الموضة السائدة) ويستخدم لعمل هذه التصاميم الرسم اليدوي أو يستخدم المصممون برامج حاسوبية

حديثة مخصّصة لتصميم الأزياء" (عيسى، يسرى، 2001، ص 83)، وبهذا فإنّ تصميم الأزياء هو عملية تطبيق الخطوط التي تشرح مبادئ وأسس خصائص الخامات، وطرق ومصادر الاستلهام المختلفة وصياغة كلّ العلاقات التشكيلية والجمالية، بإحكام واع بما يتّفق مع المرحلة العمرية التي يتوخّاها المصمّم لها لوضع مواصفات لتصميم ذو نواحي ابتكاريه.

كما أنّ الطبيعة والخط العربي لا تزال تحظى بمكانة خاصة في الموضة العربية، ولعلّ ما يدعّم ذلك ما قالته الكاتبة صبيحة رشدي بأنّ " العلاقة بين التراث والمعاصرة هي علاقة وطيدة، إذ يمثّل التراث الموروث الثقافي المتجلي في جميع ما أنجزه الإنسان على مرّ تاريخه في حدود بيئته الثقافية، ومن ثمّ فالتراث يدفع إلى فتح آفاق فكرية مستحدثة ومعاصرة ومتواصلة للمستقبل، في ضوء ما يتركه من تأثير مثمر وفعل بعيدا عن كلّ السلبيات" (صبيحة، 1981، ص 58). وبهذا فإنّ هذا المجال التصميمي يمثّل الاتجاه الحيوي المفعم بالإرادة نحو استثمار مبادئ فنّ التصميم بنائيا ووظيفيا لابتكار أزياء تظهر عليها السمة التصميمية، وهي المحتوى النهائي لكلّ مفردات العمل.

II- آليات ومتطلّبات تصميم الأزياء

1- آليات الفنون في تصميم الأزياء

1-1- لمحة تاريخية عن تصميم الأزياء

يمتّد تاريخ تصميم الأزياء في تونس إلى عصور قديمة، حيث كانت الملابس التقليدية تعكس الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع التونسي، وتميّزت بالتنوّع في الألوان والنقوش والأنماط الزخرفية المستوحاة من التراث العربي والأمازيغي والإسلامي، حيث تميّز الزيّ التونسي التقليدي مثل الجلابية والشاشية والقفطان التونسي، بتفاصيل دقيقة

في التطريز والزخرفة، معتمدا على خامات محلية مثل الحرير والصوف والقطن، وكان لكلّ إقليم سماته الخاصة في التصميم والزينة.

ومع بداية القرن العشرين بدأ تأثير الموضة الغربية يظهر تدريجيا في الأزياء التونسية خاصة في المدن الكبرى مثل تونس العاصمة وصفاقس وسوسة.. اذ ظهر مصمّمو أزياء محليون يجمعون بين التقليدي والمعاصر، محاولين التوفيق بين الجمالية التراثية ومتطلّبات العصر الحديث، وقد شهدت فترة ما بعد الاستقلال 1956، بروز أولى مبادرات المصمّمين التونسيين الذين سعوا إلى إعادة تفسير الملابس التقليدية بأساليب مبتكرة مع استلهام عناصر الفن التشكيلي والزخرفي في تصميم الأزياء.

أمّا في العقود الأخيرة ومع الانفتاح على العالمية والتقنيات الحديثة، أصبح تصميم الأزياء في تونس يدمج بين الفنّ والتصميم المعاصر، حيث يقوم المضمون بتوظيف الألوان والملمس والقصات بشكل يعكس الهوية الثقافية ويواكب المعايير الدولية للموضة، وقد ساهمت هذه المرحلة في بروز أسماء مصمّمين تونسيين معاصرين، نجحوا في تقديم تصاميم تجمع بين التراث والفنّ الحديث، لتصبح تونس منصة للإبداع الفنّي في مجال الأزياء.

وبهذا فإنّ التصميم ما هو إلاّ عملية ابتداع أفكار ومفاهيم تتناسق مع مختلف أنماط الملابس عبر ما تتطلّبه من نوعية الأقمشة الموائمة مع أشكالها وألوانها وما تحتاجه من برامج حاسوبية مواكبة للعصر، وبذلك فإنّ التصميم ما هو إلاّ تطبيقا لخطوات متتالية التي تقوم بمثابة شرح مبادئ وأسس خصائص الخامات، وطرق ومصادر الاستلهام المختلفة وصياغة كلّ العلاقات التشكيلية والجمالية، بإحكام واع بما يتّفق مع المرحلة العمرية التي يتوخّاها المصمّم لها لوضع مواصفات لتصميم ذو نواحي ابتكاريه.

وبالتالي يمكن القول بأنّ تصميم الأزياء هو ذلك الكيان المبتكر والمتجدّد في خطوطه ومساحاته اللونية وخاماته المتنوّعة، التي يحاول المصمم أن يترجم بها عناصر التكوين إلى تصميم مستحدث ومعايش لظروف الواقع بصورة تصميمية جميلة، من أجل ابتكار أزياء جديدة تؤدي عدة وظائف منها المادي والجمالي، أي أنّ عملية التصميم تعدّ عملا مبتكرا يحقق غرضه بإضافة شيء جديد.

1-2- تصنيفات تصميم الأزياء

إنّ تصميم الأزياء مجالا متطوّرا ومتنوّعا يمكن تصنيفه وفقا لعدّة معايير أساسية، تشمل الوظيفة، الأسلوب، والهدف من التصميم ما يساعد على فهم طبيعة العملية الإبداعية ومجالات التوظيف الفنّي للتصميم: فنجد الأزياء الراقية (Haute Couture) وهي تصاميم فاخرة يتّم انجازها يدويا وبكميّات محدودة،بكونها تتميّز بدقّة تفاصيلها واستخدامها بمواد علية الجودة، وغالبا ما تكون مبتكرة من الناحية الفنّية، ولعلّ هذا النوع يعكس تفاعل الفنّ مع التصميم بشكل واضح، حيث تكون الملابس أشبه بأعمال فنّية يمكن عرضها في صالات العرض والمتاحف، كما نذكر الأزياء الجاهزة (Prêt-à- Porter) وهي تصاميم مصنوعة للإنتاج التجاري والارتداء اليومي، مع الحفاظ على التوازن بين الجمالية والوظيفة، وهذا التصنيف يتيح للمصمّمين دمج عناصر فنّية مستوحاة من الرسم أو النحت أو الثقافة البصرية ضمن تصاميم عملية تصل إلى جمهور واسع.

في حين نجد الأزياء الشعبية أو التقليدية التي تشمل الملابس التراثية المرتبطة بالهوية الثقافية، وذلك بحسب كلّ ولاية مثل القفطان التونسي والزيّ التقليدي، حيث يظهر الفنّ من خلال الزخارف والتطريز والألوان المستوحاة من التراث المحلي، ومن جهة أخرى نجد الأزياء الرقمية أو التجريبية إثر تطوّر التكنولوجيا والوسائط الرقمية، حيث ظهر نمطا جديدا من التصميم يجمع بين الفنّ والتقنيات الحديثة مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد،

التصميم الرقمي، والأزياء التفاعلية، ما يسمح بالتجريب الحرّ والتوسّع في المفاهيم الجمالية، وبهذا تعدّ مختلف هذه التصنيفات إطارا أساسيا لفم كيفية دمج الفنّ والتصميم في الأزياء، خاصّة عند دراسة أعمال مصمّمين معاصرين يسعون إلى تقديم تصاميم تجمع بين الرؤية الجمالية والفنّية والوظيفة العملية.

2- تأثير الفنون والتراث التونسي على تصميم الأزياء

يعدّ التراث التونسي بمختلف تجلّياته الثقافية والفنّية من أهمّ المصادر التي يستلهم منها مصمّمو الأزياء أفكارهم الإبداعية، فقد ساهمت الفنون التقليدية مثل فنون الزخرفة والتطريز والنسيج اليدوي في تشكيل هوية بصرية مميّزة انعكست بوضوح في تصميم الأزياء. وتتميّز تلك الأزياء التونسية بتنوّع عناصرها الجمالية، مثل الألوان الفنّية والزخارف الهندسية والنباتية المستوحاة من الفنون الإسلامية والتقاليد المحلية، إضافة إلى استخدام خامات تقليدية كالحرير والصوف والقطن، حيث يعتمد المصممون في عملية تصميم الأزياء على مجموعة من الأسس والآليات التي تقوم على دراسة الشكل والتكوين واختيار الخامات المناسبة وتحقيق التوازن بين الجمال والوظيفة، ومن خلال توظيف هذه العناصر يسعى كلّ مصمّم إلى إعادة قراءة التراث التونسي بأسلوب معاصر، يدمج بين الأصالة والابتكار، بما يسهم في إنتاج تصاميم تعكس الهوية الثقافية وتواكب في الوقت ذاته تطوّرات الموضة الحديثة.

وقد شكّلت هذه العناصر التراثية مصدرا مهما يستلهم منه مصممو الأزياء المعاصرون أفكارهم التصميمية، حيث يعملون على إعادة توظيف الزخارف والألوان والمواد التقليدية ضمن رؤى تصميمية حديثة، ومن خلال هذا التفاعل بين الفنّ والتراث من جهة، والتصميم المعاصر من جهة أخرى تتشكّل تصاميم أزياء تعكس الهوية الثقافية التونسية وتبرز قيمها ضمن سياق فنّي معاصر، ولعلّ من أهمّ المناطق التي استلهم منها كلّ

من المصممين كميليا قصارة والهادي الملولي ولاية قابس والمهدية وجربة من حيث الألوان والزخارف وأساليب التطريز والنسيج.

2-1- خصائص الأزياء التراثية في بعض المناطق التونسية

إذ أنّ خصوصية الأزياء التقليدية تعكس طبيعة المنطقة وتاريخها الاجتماعي والحضاري، فقد تأثرت الأزياء التقليدية بولاية قابس بالبيئة المحليّة للجنوب التونسي وبالتقاليد العربية والأمازيغية، ممّا أفرز أنماطا مميّزة من الملابس تجمع بين البساطة والأناقة في آن واحد، حيث تعتمد على استخدام أقمشة تقليدية غالبا ما تكون مصنوعة من الصوف أو القطن، إضافة إلى توظيف الألوان الدافئة التي تنسجم مع طبيعة المنطقة الصحراوية، كما تحتّل الزخرفة والتطريز مكانة مهمّة في الأزياء القابسية التي تستعمل نقوش هندسية ونباتية تعكس الذوق الجمالي المحلي، وتنفّذ غالبا بتقنيات يدوية متوارثة عبر الأجيال، وتظهر هذه العناصر بوضوح في الملابس النسائية المتميّزة باتّساعها وانسيابيتها، إضافة استعمال الحلّي والإكسسوارات التقليدية التي تفضي على الزيّ طابعا احتفاليا وثقافيا مميّزا، وقد شكّلت هذا الخصائص الجمالية والتراثية مصدرا مهما لإلهام مصممي الأزياء المعاصرين، إذ يعمل البعض منهم على إعادة توظيف الأزياء التقليدية في قابس ضمن رؤى تصميمية تجمع المحافظة على الهوية الثقافية والابتكار في الشكل والقصات، ممّا يسهم في إبراز التراث المحلّي في إطار فنّي معاصر.

أمّا بالنسبة لخصوصية الأزياء التقليدية في المهدية، فتعّد من أبرز المظاهر الثقافية التي تعكس التاريخ العريق للمدينة ومكانتها الحضارية على الساحل التونسي، وقد تأثّرت هذه الأزياء عبر العصور بمختلف الحضارات التي مرّت بالمنطقة، ممّا أكسبها ثراء جماليا وتنوّعا في الأشكال والزخارف، حيث تتميّز الأزياء في المهدية بالاهتمام الكبير بالتطريز الدقيق واستعمال الأقمشة الفاخرة مثل الحرير والمخمل، إضافة إلى

اعتماد ألوان زاهية تعكس الطابع الاحتفالي للزيّ التقليدي. حيث تعدّ الملابس النسائية من أهمّ عناصر هذا التراث التي تبرز الإبداع الفنّي في تفاصيل التطريز والزخارف التي تنفّذ بخيوط ذهبية أو فضية، ممّا يضفي على الزيّ طابعا فخما ومميّزا. وقد شكّلت هذه الخصائص الفنّ]ة والتراثية مصدرا لإلهام مصمّمي الأزياء الذين يسعون إلى استلهام عناصر التطريز والألوان في تصاميمهم، بهدف إعادة توظيف التراث المهدوي ضمن رؤى إبداعية جديدة تجمع بين الأصالة والابتكار وتبرز العلاقة التفاعلية بين الفنّ والتصميم في الأزياء المعاصرة.

في حين خصوصية الأزياء التقليدية في جربة تعكس تنوّع التراث الحضاري للجزيرة، حيث تتداخل في تشكيلها تأثيرات عربية وأمازيغية ومتوسطية، إذ ساهم هذا التنوّع الثقافي في ظهور أنماط لباس تقليدية تتميّز بالبساطة والأناقة في آن واحد مع اعتماد أقمشة خفيفة وألوان هادئة تتلاءم مع طبيعة المناخ في الجزيرة، وتبرز في الأزياء الجربية خاصة بتفاصيل اللباس النسائي توظيف الأقمشة المنسوجة يدويا وتزيّن بزخارف بسيطة، لكنّها ذات دلالات رمزية وثقافية، كما تلعب الحلّي التقليدي دورا مهّما في اكتمال الزيّ الذي تضيف له بعدا جماليا يعكس الهوية الثقافية والاجتماعية لهذه الولاية.

وبهذا فقد أصبح هذا التراث الغني مصدرا مهما لإلهام مصمّمي الأزياء المعاصرين الذين يعملون على إعادة توظيف عناصر الزيّ الجربي بتصاميم حديثة تعكس روح العصر مع المحافظة على الهوية المحلية، من خلال هذا التفاعل بين التراث والفنّ والتصميم تشكّل تصاميم أزياء معاصرة تجمع بين البعد الجمالي والقيمة الثقافية، ممّا يعزّز حضور التراث الجربي في الخطاب الفنّي المعاصر.

تظهر التأثيرات التراثية من خلال الأقمشة التقليدية والزخارف المستوحاة من البيئة المحليّة، بينما تشتهر المهدية بغنى تطريزاتها الدقيقة وأزيائها التقليدية التي تعكس

تاريخا حضاريا عريقا، في حين تتميّز جربة بخصوصية لباسها التقليدي وألوانه المتناغمة التي تعكس الهوية الثقافية للجزيرة.

وهذا ما أدّى ببعض المصممين للعودة إلى الماضي وتراثهم الزاخر بمختلف الزخارف والرموز التي تضيف إلى الأزياء ابتكارا وإبداعا عبر استعارتهم لذلك الموروث الذي يبقى متجدّدا بتجدّد متناوليه، حيث يقول عامر رشيد في هذا الصدد: " ويتمّ التعبير عن الحاضر بسياق الزمني " الآن "، والماضي يعني المنتهي ويقدر الماضي من خلال التجارب التراثية، فإذا كان الماضي منتهيا، فالتراث ذو زمن يتحرك، فهو لا يقتصر على القديم، بل هو مستمر إلى زمن الحاضر، فما بقى فهو التراث، والمعاصرة تعني التطلّع نحو الإبداع والتجديد، بالإضافة إلى أنّها تعني ربط التراث بالمعرفة والمصير الاجتماعي، وهي استيعاب لخبرة الحاضر" (رشيد، 1970، ص 98).

فلقد حافظ كلّ من المصمّمين كميليا قصارة والهادي الملولي على الإرث الحضاري من خلال دمج الأنماط التقليدية في تصاميمهم المعاصرة، فنرى جمال الحايك ذلك الفن القديم لصباغة القماش، كما أضفى نسيج الحرير المطرز واستخدام النقوش والزخارف المستوحاة من الطبيعة والخط العربي التي لا تزال تحظى بمكانة خاصة في الموضة العربية، ولعلّ ذلك يعود إلى مدى أهمّية التراث واستعادة قراءته برؤية مواكبة لكلّ ما هو معاصر،إذ أنّ ذلك الموروث ما هو إلاّ دافعا لفتح آفاق متوائمة مع كلّ مستحدث ومعاصر.

وبالتالي قد يتطلب تصميم الأزياء معرفة واسعة في عدد من المجالات المتداخلة، والتي من ضمنها المهارة في التصميم، لكي يتمكّن المصمّم من تحويل أفكاره إلى واقع، علما وأنّ متطلّبات تنفيذ فكرة العمل هي من تحدّد العناصر اللازمة لإنجازه لكونها اللغة المرئية التي يتعامل معها المتلقي، والتي تتمتّع بمميّزات المخاطبة والإظهار والتحاور،

وبذلك فإنّ تصميم الأزياء ما هو إلاّ عملية ابتكار وابتداع، والتي تعني عمل شيء جديد لإرضاء بعض الاحتياجات الإنسانية، سواء كانت فردية أم كان لها أساس جماعي.

وهنا نجد من الضروري أن يكون المصمّم قادرا على تنفيذ تصاميمه عبر تعرّفه على مختلف أنواع الأقمشة، إذ أنّ كلّ نوع منها يتطلّب معالجة وتصميم مختلفين، فمثلا، الحرير يتطلّب تقنيات خياطة تختلف عن التطريز، حيث أنّ فهم هذه الاختلافات قد تساعد المصمّم في اختيار الأنسب لتصميماته، ولعلّ ما صرّحت به الناقدة " ماري نويل" بقولها الآتي " إنّ كيفية ترتيب عينات المنسوجات لتكمل الصور التي تعرض اللون والموضوع أمرا مهما أيضا" (Marie Noëlle,1997, p 161)،وبهذا فمن الضروري أن لا نغفل عن التنسيق بين الألوان التي يجب على المصمّم امتلاكه لمهارات عالية في تنسيق الألوان، ومدى تناسقها مع اختيار ما يتناسب مع بعضها البعض لإنتاج تصميم متكامل وجذاب.

وبهذا فإنّ تصميم الأزياء هو اللغة التي تشكلها مجموعة عناصر في تكوين موحد كالخط والشكل واللون والنسيج، وتعد هذه المتغيرات إحدى أسس التعبير التصميمية التي تخوّل للمصمّم السيطرة والتكامل والتوازن والإيقاع والنسبة، لكي يتحصل الفرد في النهاية على ملبس يشعره بالتناسق ويربطه بالمجتمع الذي يعيش فيه، ولعلّ ذلك يعود إلى خضوع التصميم إلى عناصر مرنة سهلة التبديل والتشكيل مثل الخامات، وهي الأقمشة والمنسوجات سواء منسوجة أو غير المنسوجة، حيث أصبحت في وقتنا الحاضر متعددة الأنواع والألوان والتركيب النسجي، والتي يوجد منها الآن العديد من الخامات المنتجة من الألياف الصناعية بجانب الألياف الطبيعية والمخلوطة التي لها طبيعة خاصة.

III– تجلّيات تضايف الفنّ والتصميم وأثرها على النزعة التصميمية لكلّ من المصممين: كميليا قصارة والهادي الملولي

1- النزعة التصميمية لتصميم الأزياء في تجربة المصمّمة كميليا قصارة

قبل أن نستهل في الكتابة حول تجربة هذه المصمّمة وجب علينا إلقاء الضوء على تعريفها، كميليا قصارة هي من مواليد مدينة صفاقس كانت شغوفة بفنّ الخياطة منذ هي في المرحلة الثانوية من دراستها حيث قامت بتكوين في فنّ الموضة، متحصلة على شهادة تصميم نسيج واكساء وكانت من خريجي الدفعة الأولى من المعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس سنة 2000، وحاليا أستاذة مساعدة بنفس المعهد.

فلقد كانت هذه المصمّمة على إطلاع لمجمل أفكار المصممين العالميين والوسائل التي ساعدتهم حتّى يصلوا لمستوى رفيع في عالم الأزياء، ممّا ساهم في تغذية عينيها لألوان وتصاميم، عبر تطلّعاتها لعالم الموضة المنتشرة والمرغبة في الأسواق، كما وأنّ تواصلها المباشر مع بعض المصمّمين ذوي الخبرة جعلها تكتسب عديد المهارات التصميمية من خلال انفتاحها على العديد من الأقمشة التي تعدّ من أهمّ العناصر التي تساعد على ابتكار العديد من التصميمات، حيث أنّ وللقماش دورا مهمّا في التصميم، والذي يساعد على إبراز نواحي الجمال وإخفاء بعض عيوب الجسم، فاختيار القماش المناسب يعدّ عاملا أساسيا لنجاح كلّ تصميم.

كما تتّصف هذه المصمّمة بخيال واسع ممّا أهّلها للمزيد من التقدّم والتطوّر في تصميمها لمختلف الأزياء، عبر ما تتمتّع به من معرفة ومهارة في ابتكار ما يحقّق لها تلك الاحتياجات بما هي جزء من الثقافة الإنسانية التي سعت إلى تلبيتها، وبهذا فإنّ الفنّ التصميمي يتطلّب مخيّلة تزخر بالعديد من التصوّرات والاستعارات والأشكال، وذلك لاعتباره فنّا وقتيا أو موسميا، حيث يتأثّر بما حوله ويعدّ من توابع الحياة الثقافية والتأثيرات الاجتماعية، والمتّسم بالتجديد والتنوّع المبهر في كلّ موسم من المواسم، وذلك تبعا لما اتفق عليه مصممو العالم على أن يكون هناك موسمان للأزياء سنويا، موسم محدد لفصلي الخريف والشتاء أو الربيع والصيف.

فقد حاولت هذه المصمّمة الرجوع إلى كلّ ما يخص هوية اللباس التونسي وغايتها من ذلك المحافظة على ذلك التراث الغزير بالعديد من الأشكال التي شدّت انتباهها، والتي لم تلغ هويتها الذاتية من خلال تلك النزعة التصميمية التي عملت على إثباتها، ومن ضمن مصادر هذه المصمّمة نظرتها الفاحصة إلى ما تكتنز به كلّ من ولاية جربة وقابس من تنوّع إرثي، وهو ما جعلها تستنطق هذا الموروث الغنّي باللباس التقليدي كالخلّة والفوطة والبلوزة، والعمل على إعادة إحياءها بنسقها المتطوّر وبرؤيتها للمعاصرة. وقد كانت هذه المصمّمة متقنة في تدريسها المعتمدة على منهجية علمية وأكاديمية، وذلك عبر تسلسل مراحل عملها مع طلبتها من خلال اختيار محاور بحث ومصدر استلهام، كما واعتمدت على كراس الشروط والبحث الخطّي ...

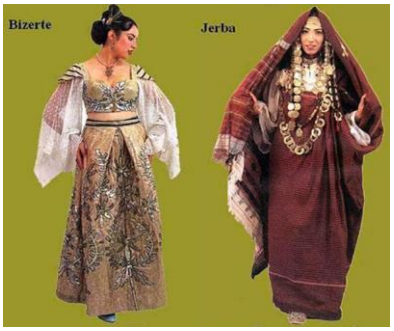

مصدر الإلهام: اللباس الجربي المتمثّل في الفوطة والبلوزة والخلّة

كراس الشروط: (Cahier des charges)

Le patrimoine tunisien (khella / fouta et blousa)	thème
L’identité dans le vêtement	Le concept
La femme	Le client cible
Moderne	Le style
Robe, corsage, jupe	dénomination

Printemps été	saison
Vêtement soirée	destination
Tulle, mousseline, satin, dentelle	Gamme de matières
Bronze, saumon, blanc	Gamme de couleurs
Borderie avec les perles,	techniques

من ثمّ تمرّ هذه المصمّمة إلى مرحلة الرسومات التخطيطية والتفصيلية، والتي من ضمنها:

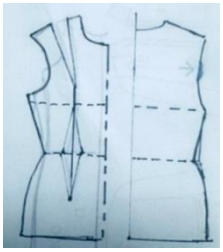

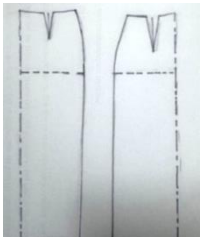

Jupe de base Corsage de base

1. L'interpretation du modele N1 :

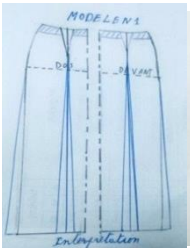

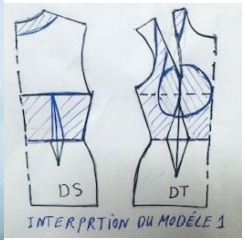

jupe Corsage

2. Patron industriel:

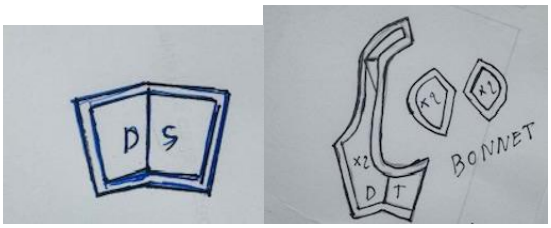

Corsage devant corsage Dos

Jupe évasée

:3. Réalisation

Modèle N1 : bustier avec deux bretelles et jupe évasée

Tissu : tulle, satin et dentelle / Couleur saumon

Accessoire : des feuilles en métal dore attaché aux bretelles

Modèle N 2 : bustier sans bretelles, short coute et jupe demi cloche longue

Tissu : tulle avec fil argent et satin / Couleur : ton blanc /

Ceinture : corde en argent

Modèle N3

Modèle N4

في الوسط: المصمّمة كميليا قصارة مع طلبتها

بمصر في المهرجان الدولي

كما استلهمت هذه المصمّمة أعمالها من التراث التونسي، والمتمثّل بالوشم " Tatouage "

كراس الشروط: " Cahier des charges "

thème	Le patrimoine tunisien (Tatouage du corps)
Le concept	La migration du tatouage du corps vers le vêtement et du vêtement vers le corps
Le client cible	La femme
Le style	sophistiques
dénomination	Robe, corsage, jupe, pantalon
saison	Printemps été
destination	Vêtement soirée
Gamme de matières	Tulle, mousseline, satin, crêpe, organza
Gamme de couleurs	Marron clair, blanc, noir
techniques	Peinture avec gutta

لقد عملت المصمّمة كميليا قصارة في هذا النموذج توظيف وهجرة علامات الوشم التي في الأصل توضع على جسم الشخص، أمّا الآن فاستلهمتها في تصميم أزياءها بكلّ وعي فكري والذي قد جسّدته بطريقة متقدّمة ومتطوّرة بحسب نزعتها التصميمية.

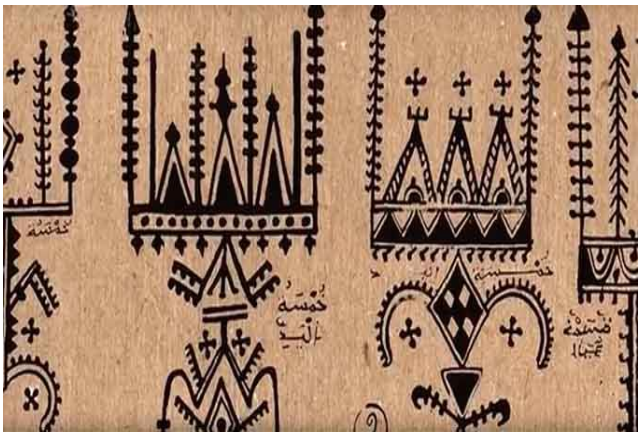

Modèle N1

2Modèle N

3Modèle N

Satin, moussline et tulle

4Modèle N

Satin de soie et mousseline

كراس الشروط: " Cahier des charges "

thème	Le patrimoine tunisien (margoum berbère)
Le concept	Le motif dans le vêtement
Le client cible	La femme
Le style	Traditionnel moderne
dénomination	corsage, pantalon
saison	Printemps été
destination	Vêtement de jour
Gamme de matières	lin
Gamme de couleurs	blanc, jaune
techniques	Peinture avec gutta

في هذه التصاميم تطوّر تقدّم هذه المصمّمة حيت فكّرت في الاستلهام من زخرفة المرقوم وما يحتويه من علامات تجريدية.

1Modèle N

Tussi lin

2Modèle N

Tussi lin

2- النزعة التصميمية لتصميم الأزياء في تجربة المصمّم الهادي الملولي

لقد اعتبر المصمّم الهادي الملولي من ضمن الطلبة المتميّزين في سنوات دراسته بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس، وبعد تخرّجه وتحصّله على شهادة التصميم انتابته فكرة الانتقال إلى معهد الموضة بالمنستير للحصول على شهادة الماجستير المهني التي تخوّل له فتح ورشة، وذلك بعد ما أنجز العديد من التربّصات في مختلف الشركات المهتمّة بتصميم الأزياء، والتي قد منحته التعرّف على برامج عالية الجودة في تصميم الأزياء مزودة بأحدث التقنيات والمعدات، حيث تعلّم العديد من المهارات المتنوعة التي تشمل مختلف تصاميم الأزياء والعمل على خياطتها عبر تقنيات تصميم الإنتاج المعاصرة، كما مكّنته التركيز على جوانب الأعمال والتسويق في صناعة الأزياء، وهذا ما مكّنه في فترات زمنية قصيرة من اكتساب خبرة واسعة والسعي نحو الحصول على مكانة رفيعة واسما مرموقا في سوق العمل.

فلقد مثّلت هذه التربّصات المهنية بشكل عام كلّ ما يتعلّق بالحياكة والخياطة والنسيج، وإعداد التخطيط يدويا أو عن طريق استخدام الحاسوب عبر البرامج المخصصة لذلك،

كما تضمّن المحتوى الدراسي لهم التعرّف على تاريخ تصميم الأزياء، وصيحات العصر والموضة، وإدارة الأعمال، ولا ننسى مبادئ الرسم الأساسية. ولعلّ تطوّر تصميم الأزياء في عصر التكنولوجيا هو ما أتاح لهذا المصمّم أن ينشئ مواقع وصفحات ومدونات خاصة به، والتي مكنته هذه المواقع من ترويج منتجاته.

إذ يكمن سرّ هذا المصمّم وراء إبداعه وتحقيق نجاحه لمدى شغفه وطموحه، ولا ننسى العمل بجدّ وراء تحقيق أحلامه، والتي من ضمنها الدقة والاهتمام بأصغر التفاصيل، الشغف والسعي وراء تحقيق المراد الوصول إليه، إدارة الوقت وتنظيمه، الإلهام مع ضرورة عدم غياب الدافع، اللمسة الإبداعية، والعمل بروح الفريق الواحد، ومهاراته المتميزة في الرسم والتصميم، ومعرفته بعالم الأزياء والموضة، ومواكبته لصيحات الموضة أولا بأول، وقدرته على العمل لساعات متأخرة في الليل وبذل أقصى الجهود، ولتقبّله لجميع آراء الناس لأنّ أذواق الناس تختلف، فمن الممكن استقبال العديد من الآراء الإيجابية والسلبية على نفس التصميم، لذلك يعمل على إيجاد مهارات التواصل مع الآخرين، كما أنّ مقدرته على استخدام برنامج التصميم بواسطة الكمبيوتر، والذي يعبّر عنه بالاختصار "CAD"، والمتمثّل في برنامج تصميم ثلاثي الأبعاد الذي يستخدم فيه شكلا رئيسيا في صناعة الأزياء والملابس، كما يسمح للمصممين بإنشاء وتصوّر التصاميم بشكل افتراضي قبل أن يتم إنتاجها فعليًا، وما يخوّل له من توظيف مختلف الأشكال والأقمشة، ومن ضمن مميّزات هذا البرنامج رؤية التصميم ثلاثي الأبعاد، كما يخوّل له إضافة بعض التفاصيل الدقيقة على غرار الأزرار والتطريز، مع إمكانية إحداث بعض التعديلات عبر توظيف برامج أخرى كالفوتوشوب (Photoshop) والستراتور (Illustrateur).

وقد استوحى هذا المصمّم من مختلف هذه البرامج استلهام بعض الأعمال التصويرية الغربية، مثل الفنان " بيت موندريان " (Pied Mondrian) الذي تميّزت أعماله بعالم

هندسي محكم التنظيم مقترنا بنقاء الشكل وروحية صوفية من خلال الخطوط وتقاطعها وتوزيع موسيقي للألوان مشتركة مع بعضها، والذي قد اقتصر على استخدام الألوان الأساسية الثلاثة المتمثلة في الأحمر والأصفر والأزرق، كما تمّ الاستلهام من الفنان "فاسيليكاندنسكي" (Kandinsky)، الذي يعتبر من أوائل مؤسسي الحركة التشكيلية التجريدية والذي تعّد أعماله مصدرا ثريا للعديد من التصميمات التي تضمّنت قيما جمالية ساعدت على تغيير الطابع التقليدي لمعالجة الأشكال، حيث "هاجر العديد من محترفي الأزياء الراقية من اسبانيا خلال القرن 19 وأوائل القرن 20، وجذبتهم الفرص الجذابة التي توفّرها صناعة الأزياء في فرنسا" (MIX, p73)، وبذلك فإنّ هذا البلد قد تميّز بتصميم أزياء ذو قيمة إبداعية وجمالية.

– الاستلهام من عمل تجربة الفنان موندريان

– الاستلهام من عمل تجربة الفنان كاندنسكي

وترجع أهمية هذا المصمّم من ذلك الاستلهام توطيد العلاقة بين المدرسة التجريدية ومجال تصميم الأزياء وإلقاء الضوء على منابع جديدة للرؤى الفنّية في مجال تصميم أزياء للفتيات، حيث مثّلت تلك الأعمال الفنّية لفناني المذهب التجريدي، مصدرا خصبا من مصادر إلهامه من خلال معرفته بسمات تلك الأعمال وتحليله لمفردات بنائها وما تكوّن لديه من مخزون فكري، الذي مكّنه من ترجمتها وإعادة صياغتها وتوظيفها بشكل فنّي بأكثر من رؤية فنّية في مقترحاته التصميمية، التي توقّفت على مدى خبرة ومهارة ذلك المصمّم وتعايشه وانصهاره داخل بيئة مفردات بناء العمل الفنّي التي اعتبرها محلّ الاقتباس.

انتقل فيما بعد المصمّم الهادي الملولي إلى الاستلهام من التراث الذي يحتوي على العديد من الرموز والعلامات التي ألهمته بالعديد من التصاميم عبر ما وظّفه من قماش ليعبّر عن أساليبه المتطوّرة، والتي من ضمنها تلك التصميمات المتنوّعة بتنوّع الزخرفة والخط العربي. وفي هذا الصدد يقول: الدكتور عبد الباقي " وما دامت الطريقة التي يمكن بها تشكيل المادة هي جزء من طبيعتها، فإنّ كلّ ما أوردناه عن المواد يشمل الناحية التطبيقية أيضا، وهذا هو السبب التقني للتصميم" (روبرت، 2017، ص 43)، حيث تمثّلت تلك المادة من خلال الاستلهام من الخط العربي والقمجة المهدوية.

تصميمات مستلهمة من الخط العربي

كما استلهم المصمّم الهادي الملولي من القمجةالمهداوية ومن بعض التطريزات المحلية:

عمل المصمّم الهادي الملولي في مثل هذه النماذج على القمجة المهداوية وبعض التطريزات المحلية، والتي تعتبر من أهمّ عناصر الموروث الحضاري في هذه الولاية، حيث مثّل التراث مصدر استلهامه الذي حاول استنطاقه ليجعل منه تصميما مواكبا لكلّ ما هو معاصر، ولعلّ غايته من ذلك إحياء هذا التراث القديم ومنحه رؤية متجدّدة تختلف عن كلّ ما هو مألوفا.

يوضّح هذا المصمّم في تلك النماذج توظيف تلك التطريزات المحليّة بأكثر دقّة التي حاول تصميمها بطريقة مبتكرة وبتفاصيل أقلّ اختزالا، ليجعل منها جلابيب ملائمة لكلّ

الفئات العمرية، ومن المؤكّد أنّ الدافع وراء ابتكاره لمثل هذه العناصر هو الميل إلى وجود تصاميم مزخرفة ومعاني على كلّ ملبس، كما يجعل منه تصميما متميّزا، ممّا يضيف له قيما فنّية وجمالية تخضع لصياغات التصميم الفنّي والحوار الفكري والذي يتّبع فلسفات خاصّة لكلّ مصمّم واتّجاهه التصميمي، حيث يجد ذلك المصمّم بنائية لكلّ خط أو مساحة لونية، إذ ما عليه سوى إيجاد الحلّ التنفيذي المناسب والحكم على الجماليات التصميمية الذي يأتي من خلال الشكل والمضمون مثله كمثل أيّ تصميم فنّي لا بدّ وأن تتحقّق فيه القيم الجمالية، ويرجع ذلك إلى أسلوب المصمّم في التنظيم الجمالي، الذي يستطيع حصر تصوّراته العامة بالنسبة لكلّ زخرف من هذه الزخارف للوصول إلى تصميم متفرّد.

الخاتمة

وفي الختام يمكن القول بأنّ تصميم الأزياء ما هو إلاّ وسيلة للتعبير الشخصي، حيث تمكّن كلّ من المصمّمين من تحويل أفكارهما وإلهامهما إلى قطع فنّية ملموسة، إذ أنّ التصميم يعتمد على مجموعة من القواعد والأسس التي تجعل العمل الفنّي يبرز ويعبّر عن رؤية واضحة، ولكي يصبح الفرد مصمّما محترفا، يجب أن يتعلم هذه الأسس ويكتسب الأدوات اللازمة لذلك، بالإضافة إلى استكشاف الورش التعليمية التي توفّر المهارات المطلوبة لتطوير قدراته في هذا المجال، وذلك لأنّ تصميم الأزياء هو فن يدمج بين الإبداع والتقنية لكي يستطيع المصمّم التعبير عن تجربته الذاتية المعبِّرة عن هوية الثقافة المحليّة للمجتمع، إذ منذ قديم الزمن، كان للأزياء دورا بارزا في تحديد مكانة الفرد الاجتماعية والثقافية، وتطوّر هذا المجال على مرّ العصور ليصبح واحدا من أهمّ الصناعات الإبداعية التي تعبّر عن الذوق الشخصي وتعزز التواصل الثقافي بين الشعوب.

وبالتالي فإنّ تصميم الأزياء ما هو إلاّ ابتكارا لتصميم ملابس تعبّر عن شخصية الفرد وتكون مناسبة لاحتياجاته، إلى جانب ذلك، يعتبر التصميم وسيلة للتعبير عن القيم الثقافية والجمالية للمجتمعات في عصرنا الحالي المواكب لكلّ التطوّرات، هذا ما يجعل من التصميم وسيلة لتحدّي المعايير الاجتماعية والتأكيد على التفرّد والتميّز، بالإضافة إلى ذلك ما ينتج عنه من تحقيق التوازن بين الجمال والوظائف العملية، إذ أنّ المصمم المحترف دائم البحث عن الطريقة المثلى لجعل الملابس مريحة وجميلة في آن واحد، والتي تكون قائمة على إيجاد التنظيم وترسيخه في جميع مكونات التصميم وإظهار البنية الشكلية بأدّق صورة، ولعلّ هذا من أهمّ ما يصبو إليه أيّ مصمّم المتمثّل في انجاز تصميم مبتكر يكون خارج دائرة التقليد والمحاكاة، والذي يسعى دائما لاستحداث توليفات جديدة بالارتكاز على الأنظمة التصميمية المبتكرة من عدّة مصادر غنّية بالموروث الذي يبقى رمز الأصالة والحفاظ على الهوية.

قائمة المصادر والمراجع العربية

ابن فارس، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق، ط 4، 2004

ابن منظور، لسان العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1948

أبو العباس عزام، التذوق والنقد الفني في الفنون التشكيلية، ط1، 1999

رشدي رشيد صبيحة، الملابس العربية وتطوّرها في العهود الإسلامية، المكتبة الوطنية، بغداد، 1981

سكوت جيلام روبرت، أسس التصميم، ترجمة، الدكتور عبد الباقي محمد إبراهيم، مجوعة دار النهضة مصر للطبع والنشر، 2017

صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1971

لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 3، ط 2، بيروت – باريس، منشورات عويدات، 2001

البسيوني محمود، أراء في الفن الحديث، دار المعارف، 1961

السامرائي عامر رشيد، لمحة عن الأزياء التراثية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1970

معوض عيسى أحمد يسرى، قواعد وأسس تصميم الأزياء، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2001

قائمة المصادر والمراجع الفرنسية

Bethan Morris, L'illustration de mode, Guide des métiers, Ed: Laurence King, 2006

BOUTIN-ARNAUD Marie-Noëlle ,*Le vêtement : création, conception, fabrication*, Paris, édition Nathan, 1997

Fashion Mix, Mode d'ici. Créateurs d'ailleurs, Ed: Flammarion